الفصل السادس

عصمة الرسل

عصمة الرسل

هل الرسل معصومون عن الخطأ والمعصية ، وهل هي عصمة عامّة شاملة ؟ هذا ما سنحاول بيانه .

العصمة في التحمّل وفي التبليغ

اتفقت الأمّة على أنَّ الرسل معصومون في تحمّل الرسالة[1] ، فلا ينسون شيئا مما أوحاه الله إليهم إلاّ شيئا قد نُسخ ،وقد تكفل الله لرسوله ـ ﷺ ـ بأن يقرئه فلا ينسى شيئا مما أوحاه إليه ، إلا شيئا أراد الله أن ينسيه إيّاه : ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ « سورة الأعلى/ ٦ » وتكفل له بأن يجمعه في صدره : ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ « سورة القيامة/١٦ ـ ١٨ » وهم معصومون في التبليغ ، فالرسل لا يكتمون شيئا ممّا أوحاه الله إليهم ، ذلك أن الكتمان خيانة ، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك ، قال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ « سورة المائدة/ ٦٧ » ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله فإن عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ « سورة الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٦ »

---

(١) نقل الاجماع على العصمة في هذا أكثر من واحد انظر : مجموع الفتاوى ٢٩١/١٠ ، ولوامع الأنوار البهيّة (٣٠٤/٢) .

ومن العصمة ألاَّ ينسوا شيئا مما أوحاه الله إليهم ، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي ، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ « سورة الأعلى/٦ » ومما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ « سورة النجم/ ٣ ـ ٤ »

أمور لا تنافي العصمة

الأعراض البشريّة الجبلّية لا تنافي العصمة ، فإبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفة عندما رأى أيدي ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدمه لهم ، ولم يكن يعلم أنّهم ملائكة تشكلوا في صور البشر ﴿ **فَلَمّا رأى أَيْدِيَهُم لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لاَ تَخَفْ ، إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ « سورة هود/ ٧٠ » .

وموسى وعد الخضر بأن يصبر في صحبته له ، فلا يسأله عن أمر يفعله العبد الصالح حتى يحدث له منه ذكرا ، ولكنه لم يتمالك نفسه ، إذ رأى تصرفات غريبة ، فكان في كل مرّة يسأل أو يعترض أو يوجه[1] ، وفي كل مرّة يذكّره العبد الصالح ويقول له : ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾ « سورة الكهف/ ٧٥ » وعندما كشف له عن سرّ أفعاله ، قال له : ﴿ **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْه صَبْراً** ﴾ « سورة الكهف/ ٨٢ » .

وغضب موسى غضبا شديدا ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح وفي نسختها هدى ـ عندما عاد إلى قومه بعد أن تمّ ميقات ربه ، فوجدهم يعبدون العجل ، ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفَا ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ ، وَلاَ تَجْعَلْنِي**

(١) كانت المرة الأولى من موسى نسيانا ، أمّا الثانية والثالثة فكان متعمدا .

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ « سورة الأعراف/ ١٥٠ » وفي الحديث : « ليس الخبر كالمعاينة ، إنَّ الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل ، فلم يلق الألواح ، فلمّا عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت »[١] .

نسيان آدم وجحوده

ومن ذلك نسيان آدم عليه السلام وجحوده فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كلٍّ منهم وبيصا من نور ، ثمَّ عرضهم على آدم ، فقال أي ربِّ مَنْ هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم فأعجبه ما بين عينيه ، فقال : أي ربِّ من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الامم من ذريتك ، يقال له داود ، قال : ربِّ وكم عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أي ربِّ زده من عمري أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم ، جاءَه ملك الموت ، قال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ، قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسي آدم ، فنسيت ذريته ، وخطىء آدم ، فخطئت ذريته »[٢] .

نبي يحرق قرية النمل

ومن ذلك ما وقع من نبي من الانبياء فقد غضب إذ قرصته نملة ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فعاتبه الله على ذلك ، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ : « نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة ، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ، ثمَّ أمر ببيتها فأحرق بالنار ، فأوحى الله إليه : فهلّا نملة واحدة » . رواه البخاري وأبو داود والنسائي[٣] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، بإسناد صحيح (انظر صحيح الجامع الصغير ٥/٨٧) .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم (البداية والنهاية ١/٨٧) .

(٣) صحيح الجامع ٥/٢٨ .

صلاة نبيّنا الظهر ركعتين نسيانا

ومن ذلك نسيان الرسول-ﷺ- في غير البلاغ وفي غير أمور التشريع ، فمن ذلك ما رواه ابن سيرين عن أبي هريرة قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ ، إحدى صلاتي العشيّ [1] ، فصلّى ركعتين ، ثمَّ سلَّم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنّه غضبان ، ووضع يده اليمنى على اليسرى ، وشبّك بين أصابعه ، ووضع خدّه الأيمن على ظهر كفّه اليسرى ، وخرجت السرعان من أبواب المسجد ، فقالوا : قصرت الصلاة ، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه ، وفي القوم رجل يقال له ذو اليدين ، فقال : يا رسول الله ، أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ فقال : لم أنس ، ولم تقصر ، فقال : أكما يقول ذو اليدين ؟ فقالوا : نعم . فتقدم فصلّى ما ترك ، ثمَّ سلَّم ، ثمَّ كَبَّر ، وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثمَّ رفع رأسه وكبّر ، وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثمَّ رفع رأسه وكبّر ، فربما سألوه ، ثمَّ سلَّم ، فيقول : أنبئت أنَّ عمران بن حصين ، قال : ثمَّ سلَّم » متفق عليه ، وليس لمسلم فيه وضع اليد على اليد ولا التشبيك .

وفي رواية ، قال : « بينما أنا أصلّي مع النبي - ﷺ - صلاة الظهر سلّم من ركعتين ، فقام رجل من بني سليم ، فقال : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت » وساق الحديث ، رواه أحمد ومسلم .

وهذا يدلُّ على أن القصة كانت بحضرته وبعد اسلامه .

وفي رواية متفق عليها لما قال : « لم أنس ولم تقصر ، قال : بلى ، قد نسيت » ، وهذا يدلُّ على أن ذا اليدين تكلّم بعدما علم عدم النسخ كلاما ليس بجواب سؤال[2] .

وقد صرح الرسول ﷺ بطروء النسيان عليه كعادة البشر ، ففي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « ولكنّي إنّما أنا بشر ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت

---

(١) قال الأزهري : العشى عند العرب ما بين زوال الشمس وغروبها ، فيكون المراد بهما الظهر أو العصر ، (نيل الأوطار ٣/١١٥) ، وقد حصل الجزم بأنها الظهر في إحدى الروايات .

(٢) نص الحديث برواياته كما نقلناها مأخوذة من منتقي الأخبار للمجد ابن تيمية انظر شرحه نيل الأوطار ٣/١١٤ .

فذكروني »[1] قال هذا بعد نسيانه في احدى الصلوات .

أمّا الحديث الذي يروى بلفظ : « إني لا أنسى ، ولكن أنسَّى لأسنّ » فلا يجوز أن يعارض به الحديث السابق ، لأنَّ هذا الحديث ـ كما يقول ابن حجر ـ لا أصل له ، فإنّه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد[2] .

قد يخطئون في إصابة الحق في القضاء

الأنبياء والرسل يجتهدون في حكم ما يعرض عليهم من وقائع ، ويحكمون وفق ما يبدو لهم ، فهم لا يعلمون الغيب ، وقد يخطئون في إصابة الحق ، فمن ذلك عدم اصابة نبي الله داود في الحكم ، وتوفيق الله لابنه سليمان في تلك المسألة .

فعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول : « كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاءَ الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنّما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنَّما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا به على سليمان بن داود ، فأخبرتاه ، فقال : إئتوني بالسكين أشقّه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها ، فقضى به للصغرى »[3] .

وقد وضح الرسول ـ ﷺ ـ هذه القضية وجلّاها ، فقد روت أمُّ سلمة زوج النبي ﷺ « أنَّ النبي ـ ﷺ ـ سمع خصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم ، فقال : إنّما أنا بشر ، وإنَّه يأتيني الخصم ، فلعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها »[4] .

---

(١) رواه الجماعة إلاّ الترمذي (نيل الأوطار ١٢٥/٣) .

(٢) نيل الأوطار ١١٧/٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : « ووهبنا لداود سليمان » انظر فتح الباري ٤٥٨/٦ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب إثم من خاصم في الباطل ، (انظر فتح الباري ١٠٧/٥) .

الذين ينفون عن الرسل والأنبياء هذه الأعراض مخالفون للنصوص:

ذهبت الشيعة الامامية الإثنا عشرية[1] إلى أن العصمة تقتضي ألّا يقع من الأنبياء سهو ولا نسيان ولا خطأ ، ولا خوف ولا غير ذلك من الأعراض البشريّة ، وقد سقنا لك النصوص من الكتاب والسنة الدالة على خلاف ذلك ، وهي نصوص لا تقبل تحويلا ولا تأويلا ، فعليك بالكتاب والسنة ففيهما الهداية .

---

(١) انظر عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٧٩ .

العصمة من الذنوب

القبائح التي نسبها اليهود إلى الأنبياء والرسل[1]

ينسب اليهود إلى الأنبياء والمرسلين أعمالا قبيحة ، فمن ذلك :

١ ـ أن نبيّ الله هارون صنع عجلا ، وعبده مع بني إسرائيل ، إصحاح (٣٢) عدد (١) من سفر الخروج .

وقد بيّن ضلالهم هذا القرآن عندما حدثنا أنَّ الذي صنع لهم عجلا جسدا له خوار هو السامريّ ، وأن هارون قد أنكر عليهم إنكارا شديدا .

٢ ـ أن إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قدّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها . إصحاح (١٢) عدد (١٤) من سفر التكوين .

وقد كذبوا على خليل الرحمن وقد قص علينا الرسول ـ ﷺ ـ قصة إبراهيم هذه عند دخوله لمصر ، وفيها أن ملك مصر كان طاغية ، وكان إذا وجد امرأة جميلة ذات زوج قتل زوجها وحازها لنفسه ، فلما سئل إبراهيم عنها قال هي أخته ، يعني أخته في الإسلام ، وأخبر الرسول ﷺ أنَّ الله حفظ سارة عندما ذهبت إلى الطاغية ، فلم يمسها بأذى .

٣ ـ ومن ذلك أن لوطا عليه السلام شرب خمرا حتى سكر ، ثمَّ قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى . . سفر التكوين ، إصحاح (١٩) عدد

---

(١) النصوص المذكورة هنا مأخوذة بواسطة كتاب « محمد نبي الإسلام » ص ١٤٥ .

(٣٠) . ومعاذ الله أن يفعل لوط ذلك ، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طيلة عمره ، وحارب الرذيلة ، ولكنّه الحقد اليهودي يمتد إلى الكملة من البشر ، فلعنة الله على الظالمين .

٤ ـ وأن يعقوب عليه السلام سرق مواش من حميّه ، وخرج بأهله خلسة دون أن يُعْلمه . . . سفر التكوين إصحاح (٣١) عدد (١٧) .

٥ ـ وأن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب ، وأن يعقوب عليه السلام ، علم بهذا الفعل القبيح وسكت . . . سفر التكوين ، إصحاح (٣٥) عدد (٣٢) .

٦ ـ وأن داود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قواد جيشه ، ثمَّ دبّر حيلة لقتل الرجل ، فقتل ، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه ، فولدت له سليمان . . سفر صموئيل الثاني إصحاح (١١) عدد (١) .

٧ ـ وأن سليمان ارتدَّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد . . . سفر الملوك الأول ، إصحاح (١١) عدد (٥) .

هذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبتها هذه الأمّة الغضبية إلى أنبياء الله الأطهار ، وحاشاهم مما وصفوهم به ، ولكنها النفوس المريضة تنسب إلى خيرة الله من خلقه القبائح ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر ، ويعترض معترض .

النصارى ينسبون القبائح إلى الأنبياء

والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود في هذا فقد نسبوا إلى الأنبياء والرسل القبائح ، وذلك بتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم والتي فيها ما ذكرنا ، بالاضافة إلى ما في الانجيل المحرف ؛ ومما فيه :

١ ـ ورد في إنجيل (متىّ) أن عيسى من نسل سليمان بن داود وأن جدهم فارض الذي هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب . . إصحاح متى الأول ، عدد (١٠) .

٢ - وفي إنجيل يوحنّا إصحاح (٢) عدد (٤) أن يسوع أهان أمّه في وسط جمع من الناس ، فأين هذا مما وصفه به القرآن ﴿ وبرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ « سورة مريم /٣٢ » .

٣ - وأن يسوع شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا في بني اسرائيل هم سراق ولصوص . . انجيل يوحنّا ، اصحاح (١٠) عدد (٨) .

هذا غيض من فيض مما تطفح به تلك الأناجيل المحرفة من وصف للأنبياء والرسل بما هم بريئون منه[١] ، إن الأنبياء والرسل أزكى الناس وأطهرهم وأفضلهم ، ووالله إن هؤلاء لضالون فيما وصفوا به أنبياء الله الأبرار الأطهار .

موقف الأمة الإسلامية من عصمة الأنبياء من الذنوب

الأمّة الإسلامية مجمعة على أن مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها . . . لا يمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال ، وأنهم معصومون من ذلك .

---

(١) راجع لمزيد من الأمثلة كتاب « محمد نبي الإسلام » ص ١٤٦ .

العصمة من الصغائر

وقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر ، وقال ابن تيمية : « القول بأنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنَّ هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلّا ما يوافق هذا القول . . »[1] .

الأدلة :

وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة :

١ ـ معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها ، ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى ، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى ، إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ : يَا آدَمُ هلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ، فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُما سَوْءَاتُهُما ، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾ « سورة طه/١١٦ ـ ١٢١ » .

والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد ، فقد صرحت بعصيان آدم ربّه .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣١٩/٤ .

٢ ـ ونوح دعا ربّه في ابنه الكافر ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ « سورة هود/٤٥ » فلامه ربّه على مقالته هذه ، وأعلمه أنّه ليس من أهله ، وأن هذا منه عمل غير صالح ﴿ قَالَ يَا نُوحُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ « سورة هود/٤٦ » فاستغفر ربّه من ذنبه وتاب وأناب ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ « سورة هود/٤٧ » .

والآية صريحة في كون ما وقع منه كان ذنبا يحتاج إلى مغفرة ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي . . ﴾ .

٣ ـ وموسى أراد نصرة الذي من شيعته فوكز خصمه القبطي فقضى عليه ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ « سورة القصص/١٥ ـ ١٦ » ، فقد اعترف موسى بظلمه لنفسه ، وطلب من الله أن يغفر له ، وأخبر الله بأنّه غفر له .

٤ ـ وداود عليه السلام تسَّرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني ، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، وَخَرَّ رَاكِعاً ، وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ « سورة ص/٢٤ ـ ٢٥ » .

٥ ـ ونبينا محمد ﷺ عاتبه ربّه في أمور ﴿ يَـأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ « سورة التحريم/١ » نزلت بسبب تحريم الرسول ـ ﷺ ـ العسل على نفسه ، أو تحريم مارية القبطية .

وعاتبه ربّه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم ، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله ، والاقبال على الأعمى الراغب فيما عند الله هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسول ﷺ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . . ﴾ « سورة عبس/١ ـ ٤ » .

وقبل الرَّسول ـ ﷺ ـ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ « سورة الأنفال/٦٨ » .

هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها ، وإلاّ فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه ، وخروجه من قومه من غير إذن من ربّه ، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غيابة الجبِّ ، ثمَّ أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء .

القائلون بعصمة الأنبياء من الصغائر

يستعظم بعض الباحثين أن ينسب إلى الأنبياء صغائر الذنوب[1] التي أخبرت نصوص الكتاب والسنة بوقوعها منهم ، ويذهب هؤلاء إلى تهويل الأمر ، ويزعمون أنَّ القول بوقوع مثل هذا منهم فيه طعن بالرسل والأنبياء ، ثمَّ يتمحلون في تأويل النصوص ، وهو تأويل يصل إلى درجة تحريف آيات الكتاب كما يقول ابن تيمية[2] ، وكان الأحرى بهم تفهم الأمر على حقيقته ، وتقديس نصوص الكتاب والسنة ، واستمداد العقيدة في هذا الأمر وفي كلّ أمر من القرآن وأحاديث الرسول ، وبذلك نحكمها في كل أمر وهذا هو الذي أمرنا به ، أمّا هذا التأويل والتحريف بعد تصريح الكتاب بوقوع مثل ذلك منهم فإنّه تحكيم للهوى ، ونعوذ بالله من ذلك .

وقد انتشرت هذه التأويلات عند الكتاب المحدثين ، وهي تأويلات فاسدة من جنس تأويلات الباطنية والجهمية ، كما يقول ابن تيمية[3] .

شبهتان [4]

الذين منعوا من وقوع الصغائر من الأنبياء أوردوا شبهتين :

الأولى : أن الله أمر باتباع الرسل والتأسي بهم ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾« سورة الأحزاب/ ٢١ » وهذا شأن كل رسول ، والأمر باتباع الرسول

---

(١) الشيعة الامامية الإثني عشرية مجمعون على عدم وقوع صغائر الذنوب من الأنبياء والأئمة ، راجع عقائد الامامية لمحمد رضا ص ٨٠ ، ٩٥ وعقائد الامامية الإثني عشرية لإبراهيم الموسوي الزنجاني ص ١٥٧ .

(٢) مجموع الفتاوي (٣١٣/١٠) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ممن أشبع الكلام على هاتين الشبهتين والاجابة عليهما شيخ الإسلام ابن تيمية ، انظر مجموع الفتاوي ٢٩٣/١٠ - ٣١٣ ، ١٥٠/١٥ .

يستلزم ان تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة ، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال ، إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول ﷺ ، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها ، وهذا تناقض ، فلا يمكن أن يأمر الله عبدا بشيء في حال أنه ينهاه عنه .

وقولهم هذا يكون صحيحا ، لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة ، بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية ، أمّا وأنَّ الله ينبه رسله وأنبياءَه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى التوبة منها ، من غير تأخير فإنَّ ما أوردوه لا يصلح دليلا ، بل يكون التأسي بهم في هذا منصبا على الاسراع في التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف في هذا ، تأسيا بالرسل والأنبياء الكرام في مبادرتهم بالتوبة من غير تأخير .

الثانية : أنَّ هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافي الكمال ، وأنها تكون نقصا وإن تاب التائب منها ، وهذا غير صحيح ، فإنَّ التوبة تغفر الحوبة ، ولا تنافي الكمال ، ولا يتوجه الى صاحبها اللوم ، بل إنَّ العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيرا منه قبل وقوع المعصية ، وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء ، ولما يقوم به من صالح الأعمال يرجو بذلك أن تمحو الصالحات السيئات ، وقد قال بعض السلف : « كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة» ، وقال آخر : « لو لم تكن التوبة أحبَّ الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه » .

وقد ثبت في الصحاح أن الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضلته ناقته بأرض فلاة وعليها طعامه وشرابه ، فنام نومة فقام فوجد راحلته فوق رأسه فقال : اللَّهم أنت عبدي وأنا ربّك ، أخطأ من شدّة الفرح .

وفي الكتاب الكريم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾

« سورة البقرة/٢٢٢ » وقال تعالى مبينا مثوبة التائبين ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحَاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ . .** ﴾ « سورة الفرقان/ ٧٠ » .

وفي يوم القيامة يلقي الله على العبد ستره ثم يقرره بذنوبه الصغيرة ، حتى إذا ظن العبد أنّه قد هلك ، قال الله له : فإني قد أبدلتك بها حسنات ، وعند ذلك يطلب العبد رؤ ية الذنوب الكبار التي كان مشفقا منها أن تظهر ، ومعلوم أن حاله هذا مع التبديل أعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار ، يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار ، فآدم وزوجه عصيا فبادرا بالتوبة قائلين ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ « سورة الأعراف/٢٣ » وما كادت ضربة موسى تسقط القبطي قتيلا حتى سارع طالبا الغفران والرحمة قائلا : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** ﴾ « سورة القصص/١٦ » . وداود ما كاد يشعر بخطيئته حتى خرّ راكعا مستغفرا ﴿ **فاستغفر ربّه وخرّ راكعا وأناب** ﴾ « سورة ص/٢٤ » .

فالأنبياء لا يقرون على الذنب ، ولا يؤخرون التوبة ، **فالله عصمهم** من ذلك ، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها .

وبذلك انهارت هاتان الشبهتان ، ولم يثبتا في مجال الحجاج والنقاش ، وحسبنا بالأدلة الواضحة البينة التي تهدي للتي هي أقوم .

المعصية دليل البشرية

الرسل والأنبياء بشر من البشر ، عصمهم الله في تحمل الرسالة وتبليغها ، فلا ينسون شيئا ، ولا ينقصون شيئا ، وبذلك يصل الوحي الذي أنزله الله إلى الذين أرسلوا إليهم كاملا وافيا ، كما أراده الله جلَّ وعلا ، وهذه العصمة لا تلازمهم في كلّ أمورهم فقد تقع منهم المخالفة الصغيرة ، بحكم كونهم بشرا ، ولكنَّ رحمة الله تتداركهم ، فينبههم الله إلى خطئهم ، ويوفقهم للتوبة والأوبة إليه .

يقول الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر : « إنَّ الوحي لا يلازم الأنبياء في كلِّ عمل يصدر عنهم ، وفي كلِّ قول يبدر منهم ، فهم عرضة للخطأ ، يمتازون عن سائر البشر بأنَّ الله لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره ، ويعاتبهم عليه أحياناً »[1] .

تكريم الأنبياء وتوقيرهم

هذه الصغائر التي تقع من الأنبياء لا يجوز أن تتخذ سبيلا للطعن فيهم ، والإزراء عليهم ، فهي أمور صغيرة ومعدودة غفرها الله لهم ، وتجاوز عنها ، وطهرهم منها ، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه ، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله واصطفاهم عاتبهم الله ولامهم على أمور كهذه - فإنَّه يجب أن نكون على حذر وتخوف من ذنوبنا وآثامنا ، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء في المسارعة الى التوبة والأوبة الى الله ، وكثرة التوجه إليه واستغفاره .

---

(١) حياة محمد لهيكل ، انظر مقدمة الكتاب بقلم الشيخ المراغي ص ١١ .

العصمة لغير الأنبياء

أهل السنة والجماعة لا ينسبون العصمة لغير الأنبياء والمرسلين ، حتى أفضل هذه الأمّة بعد نبيها محمد ـ ﷺ ـ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وفيهم أبو بكر وعمر ليسوا بمعصومين ، وقد قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق في أوّل خطبة يخطبها بعد توليه الخلافة : « أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أخطأت فقوموني » ، وعندما اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب وجاءت بالدليل قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

عصمة المعزّ الفاطمي

يزعم أتباع « المعز معد بن تميم » وهو الذي يسميه بعض الناس : المعزّ لدين الله الفاطمي ـ أنّه معصوم هو وأولاده عن الذنوب والأخطاء .

وهذا الزعم زعم باطل أرادوا به اضلال الناس بتنصيب هذا الطاغية في مقام النبوة لتكون كلمته دينا يتبع ، وإلّا فإن هذا الذي يسمونه المعزّ ، وأولئك الذين كانوا يسمّون بالفاطميين ليسوا من سلالة فاطمة ، وإنما هم من سلالة عبيد الله القداح ، كانوا يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم ، مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنعه في الردّ عليهم ـ قال : « ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض[1] » .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤/٣٢٠ .

عصمة الأئمة

يزعم الشيعة أن أئمتهم الاثني عشر معصومون عن الخطأ ، والعصمة التي ينسبونها لهم هي العصمة التي ينسبونها للأنبياء ، يقول أحد مُقَدَّمي الشيعة المعاصرين مبينا مفهوم عصمة الأئمة عندهم : « الأئمة لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ، ونعتقد فيهم الاحاطة بكلّ ما فيه مصلحة للمسلمين[1] » وينقل إبراهيم الموسوي الزنجاني عن الصدوق قوله : « اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس ، وأنهم لا يذنبون ذنبا لا صغيرا ولا كبيرا ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[2] وهو يكفِّر الذين لا يقولون بعصمة الأئمة ، يقول بعد كلامه السابق مباشرة : « ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهَّلهم ، ومن جهلهم فهو كافر »[3] ، ثمَّ قال : « واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان »[4] .

وقال المجلسي : « أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأً ونسيانا ، قبل النبوة والامامة وبعدهما ، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى ، ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد ابن بابويه وشيخه ابن الوليد ، فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الاحكام »[5] ، وعصمة الأئمة عندهم مسألة اعتقادية رئيسة ، ولذا فإنهم يكفرون مخالفيهم فيها ، ويترتب عليها أمور كثيرة منها : أنَّ الكلام المنسوب إلى الأئمة يعتبرونه دليلا شرعيا كالقرآن والسنة ، ولذا فإن التشريع لم ينته عندهم بوفاة الرسول ـ ﷺ ـ بل هو مستمّر إلى حين غيبة إمامهم الثاني عشر ، بل يرون أنّه يمكن أن يتلقوا رسائل من الامام

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص ٩١ .

(٢) عقائد الإمامية الإثني عشرية ص ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) بحار الأنوار للمولى محمد باقر المجلسي (٢٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) (انظر الامامة للسالوس ص ٢١) .

الغائب بواسطة نوّابه .

ومن ذلك أنهم أحقّ بالخلافة من غيرهم ، فهم أحقّ من أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة .

سر العصمة[1]

الأنبياء والرسل معصمون بالوحي ، ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى** ﴾ « سورة النجم/٣ ـ ٤» . فما سر عصمة الأئمة ؟ يقول علماء الشيعة الإمامية : إنَّ الله جعل في الأئمة أرواحا يسددهم بها ، فقد عنون الكليني في كتابه أصول الكافي لهذا الموضوع بقوله : « باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة » (١/٢٧١ ـ ٢٧٢) و « باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة » (١/٢٧٣ ـ ٢٧٤) ، وفي هذا الباب ستة أخبار منها عن أبي عبد الله قال في الروح الذي في هذه الآية ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَينَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا** ﴾ « سورة الشورى/٥٢ » : خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أعظم من جبريل وميكائيل ، كان مع رسول الله ﷺ ـ يخبره ، ويسدده ، وهو مع الأئمة من بعد .

وفي الباب الأسبق ذكر عن الامام الصادق أن روح القدس خاصة بالأنبياء ، فإذاقبض النبي انتقل روح القدس فصار مع الامام ، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ، والامام يرى به[2] ، وفي الحاشية فسّر الرؤ ية بقوله : يعني ما غاب عنه في أقطار الارض ، وما في عنان السماء ، وبالجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرى .

وفي كتاب بحار الأنوار للمولى محمد باقر المجلسى (٢٥/٤٧ ـ ٩٩) « باب الأرواح التي فيهم »« أي في الأئمة » وأنهم مؤيدون بروح القدس وقال ابن بابوية القمي في « رسالة للصدوق في الاعتقادات » (ص ١٠٨ ـ ١٠٩) . . « اعتقادنا

---

(١) النقول المثبتة هنا بمصادرها أخذناها من كتاب الامامة عند الجمهور والفرق المختلفة د . على أحمد السالوس (ص ٢٠) .

(٢) انظر عقائد الامامية الإثني عشرية لإبراهيم الموسوي الزنجاني ص ١٦١ .

في الأخبار الصحيحة عن الأئمة أنها موافقة لكتاب الله ، متفقة المعاني ، غير مختلفة ، لأنها مأخوذة من طريق الوحي عن الله سبحانه » ، وهذا القمي صاحب كتاب « فقيه من لا يحضره الفقيه » أحد كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الجعفرية يقول : « ويرى علماء الشيعة أنَّ النبيَّ إذا لم يوص فإنّه ناقص النبوة والرسالة ، وأنّه قد ضيع أمته »[1] .

ومما يدلُّ على بطلان مدعاهم في الأئمة أنَّ المعصوم يجب اتباعه من غير دليل ، ومخالفة غير المعصوم جائزة ، بل تكون واجبة إذا علمنا أنّه خالف النصَّ ، وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله ، وغير رسوله يطاع إن أمر بطاعة رسوله ، فإن تنازعنا رددنا الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله : ﴿ **يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ « سورة النساء/٥٩ » فلو كان الأئمة معصومين لكان أوجب الردّ إلى الله وإلى الرسول والأئمة ، فدلَّ عدم ايجاب الردّ إليهم حال التنازع على عدم عصمتهم .

وقد كان عليّ وابناه وغيرهم يخالف بعضهم بعضا في العلم والفتيا ، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضا ، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعة ، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه ، ويكره كثيرا مما يفعله ، ويرجع علي في آخر الأمر إلى رأيه ، وتبين له في آخر الأمر أنّه لو فعل غير الذي فعله لكان الصواب ، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض ، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان ، إلا أن يكون أحدهما ناسخا للآخر . وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق ، ولا يطلب هذا الأمر ، ولو كان معصوما لما جاز للحسين مخالفته[2] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) راجع مجموع الفتاوى ١٢٠/٣٥ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .